۞ مشروع النهضة عند مالك بن نبي-رؤية تكاملية-

أ/ عمران بودقزدام
أستاذ مساعد بكلية العلوم الإسلامية
- جامعة الجزائر

مقدمة:

يعد مشروع بن نبي أحد أبرز المشاريع التي حفل بها العالم الإسلامي منذ بزوغ عصر النهضة في أوائل القرن التاسع عشر إلى أواخر القرن العشرين.

عرض بن نبي رؤيته التغييرية في سلسلة مؤلفات وسمها بـ "مشكلات الحضارة" شخّص فيها واقع الأمة الإسلامية، وقدّم بديلا حضاريا رام من خلال توظيفه تغيير حال الأمة من النكوص إلى النهوض والرّيادة والقيادة.

تتجلى هذه الرؤية من خلال الاطلاع على أهم كتبه وهي: شروط النهضة، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مشكلة الثقافة، ميلاد مجتمع، وجهة العالم الإسلامي.

تستوقفنا عند قراءة هذه الكتب جملة من الملاحظات من أهمّها الحضور المركزي لمجموعة من العناصر المفاهيمية، شكّلت لبّ مشروع التغيير والنهوض عنده، تمثّلت في:- الفكرة الدينية – النفس الإنسانية – المسألة الثقافية – شبكة العلاقات الاجتماعية – المجتمع والفرد- المنظومة المفاهيمية – البناء السياسي – البناء الاقتصادي – نظرية الدورة الحضارية- عالم الأفكار- عالم الأشخاص- عالم الأشياء-.

يحضرنا في هذا السياق تساؤلين جوهريين، يمكن صياغتهما على النحو الآتي:

1- هل يمكن أن نحكم على تنظير بن نبي للبديل الحضاري – ويدخل ضمنه توظيف العناصر المفاهيمية- بأنه مجرّد تحليلات جزئية، وتجزيئية، خضعت لعوامل بيئية وزمنية مختلفة، شكّلت في آخر المطاف مجموعة من الآراء التحليلية المتراكمة لا يجمعها نسق، ولا ناظم ؟

2- هل جاءت رؤيته التغييرية التي عرضها في كتبه منضبطة انضباطا منهجيا ومحكما، بحيث تشكل في آخر المطاف منظومة تغييرية متكاملة، ووحدة عضوية متلاحمة.

سنتحقق من صحة أحد هذين الفرضين عند فحص بنية المشروع، من حيث تشخيصه لعوائق النهوض، وتنظيره للبديل الحضاري.

أولا: عوائق النهوض:

تميّز مالك بن نبي برؤية عميقة في الجذور التاريخية لانحسار الحضارة الإسلامية، موظّفا نظرية الدورة الحضارية، بوصفها الإطار الكلّي المفسّر لمسار الحضارة الإسلامية، ممّا يتيح. ــ برأيه ــ "الوقوف على عوامل التقهقر والانحطاط؛ أي على قوى الجمود داخل الحضارة، إلى جانب شرائط النمو والتقدم"[1].

وخلص إلى أنّها مرّت بثلاث مراحل هي:

1- طور الروح. 2- طور العقل. 3- طور الغريزة.

رجع بن نبي قبل سبر غور كل طور إلى ما قبل الطور الأول؛ أي البيئة التي تنزّل فيها الوحي، من حيث خصائصها ومميّزاتها، ودرجة ملائمتها لتقبّل واحتضان الفكرة القرآنية، حيث رأى أن المجتمع الجاهلي كان في حالة الفطرة؛ بمعنى تميزه بخاصية القابلية للتفاعل مع الفكرة الدينية. قال بن نبي :" لم يعرف العرب اليهودية والنصرانية، بيد أن سلوك الحنفاء الصوفي لم يمتد نحو الأخلاق المسيحية، أو الشريعة الموسوية، بل كان نظاما فرديا فطريا بسيطا"[2].

1- طور الروح:

تجلّت الروح بـ"غار حراء" حاملة رسالة بدأت بكلمة"إ قرأ"؛ التي مزّقت – برأي بن نبي – "ظلمات الجاهلية، وقضت على عزلة المجتمع الجاهلي"[3].

زلزلت هذه الرسالة كيان المجتمع الجاهلي، ممّا أدى إلى حدوث انقلاب هائل في نظم تفكيره وطرائق حياته ونظرته لذاته، وللعالم من حوله.

كانت بداية الدعوة الإسلامية بقلّة من المؤمنين، الذين وعدهم الله بالنّصر فلقوا من هول الشدائد ما لقوا، وكان على الرسول ﷺ أن يكوّن العصبة الأولى، التي تنصر الإسلام، وتمثّل بالنسبة لمجموع الأمة الإسلامية المثل الأعلى، فتقفز بهم من عالم الشيء – الرمح والقوس والسيف– إلى عالم الأشخاص – النماذج التي اعتنقت الفكرة– فضلا عن عالم الأفكار – الفكرة الأنموذجية الدافعة–.

تمثّل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، مرحلة نوعية، فمعها قامت النّقلة النوعية الأولى، وهي شهادة بصلاحية تنزيل الإسلام في الواقع، وكان مجتمع المهاجرين والأنصار هو النواة الأولى للمجتمع الإسلامي.

لقد بنى الرّسول ﷺ هذه اللحمة في المدينة بالروح القرآنية، وكان تشكّل هذه العصبة منّة عظيمة من الله تعالى، قال عزّ وجلّ في محكم تنزيله:﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[4]، فالمجتمع الإسلامي كما وصفه بن نبي هو "النموذج ذي الحجر الواحد"[5]، الذي يتّخذ صورة واحدة، كما عبّر عنه الرسول ﷺ بقوله: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، وشبك بين أصابعه"[6].

ويعود سرُّ هذا التلاحم إلى حالة "أنا"؛ -أي النفس – في المجتمع، التي كانت سليمة خالية من الأنانية، وهي مندمجة في المجتمع خادمة لتوجهاته وأهدافه، وبالتالي كانت أكثر توافقا واندماجا في الحياة الاجتماعية، بفضل الفكرة القرآنية التي أزالت الرّواسب البالية التي كانت عالقة في "الآنا" قبل الإسلام، كالحمية الجاهلية، والأخذ بالثأر... .إلخ.

استشهد بن نبي لإثبات هذا الرأي بواقعة عزل عمر بن الخطاب لخالد بن الوليد رضي الله عنه، وكيف أنّها مرّت دون عقدة؛ ذلك لأن علاقتهما كانت سوية نزيهة، فلو حدثت هذه الواقعة بعد ذلك في طور العقل، أو الغريزة لكانت كافية لزلزلة كيان الخلافة الإسلامية[7].

وهكذا استمرت الروح في تصاعدها فاعلة في ذات المسلمين، حتى يصح أن يقال إن "انقلابا حضاريا كاملا قد حصل في المجتمعات التي دخلها الإسلام، فكانت إنجازات الإسلام الحضارية بعد الهجرة وحتى نهاية الخلافة الراشدة عظيمة في كل ما أتت به"[8].

وكانت بحق الفترة الأنموذجية التي ألهمت المصلحين المسلمين جميعا، وأمدّتهم بالعناصر الحيوية للإصلاح، فكانت هذه المرحلة دينية بحت تسودها الروح، "وظلت روح المؤمن هي العامل النفسي الرئيس من ليلة حراء، إلى أن وصلت إلى القمة الروحية للحضارة الإسلامية وهو ما يوافق "واقعة صفين"[9] عام 38 هجرية.

2- طور العقل:

كانت واقعة "صفين" – برأي بن نبي– بمثابة نقطة تحوّل كبير في المسيرة التاريخية للأمة الإسلامية، وهذا نظرا لمضاعفاتها الخطيرة التي أثّرت سلبا على اندفاع الروح، ومثّلت أصدق أنموذج على الصّراع المرير الذي بدأ يطفو على السطح بين

(حمية الجاهلية) و(الروح القرآنية). وكان من أثر هذا الاصطدام أن خرجت الحضارة الإسلامية إلى طور القيصرية التي يسودها عامل العقل، وتزينه الأبهة والعظمة، في الوقت الذي بدأت أولى بوادر أفول الروح[10].

أرجع بن نبي هذه الانتكاسة الحضارية إلى خطورة ما حصل في تلك الواقعة، وما نتج عنها من مضاعفات، حيث وصفها بقوله: "لم يكن الانقلاب فجائيا، فهو النهاية البعيدة للانفصال الذي حدث في صفين، فأحلّ السلطة العصية محل الحكومة الديمقراطية الخليفية؛ مما أحدث فجوة بين الدولة وبين الضمير الشعبي، وكان ذلك الانفصال يحتوي في داخله جميع أنواع التمزق والمتناقضات السياسية المقبلة في قلب العالم الإسلامي"[11].

وكان من النتائج الوخيمة لهذه الواقعة أن فتحت الأبواب على مصاريعها للصّراعات الداخلية، وانحلّ نظام المؤاخاة الإسلامية أمام عصبيات الجاهلية، فكان ذلك بمثابة ضربة للروح القرآنية المغروسة في الضمير المسلم، فخرجت الفكرة القرآنية كقوة دافعة إلى سطح الأرض تنتشر أفقيا من شاطئ الأطلنطي إلى حدود الصين"[12].

ساهم ما تبقّى من آثار الدُّفعة الروحية القرآنية في الحفاظ على تماسك المجتمع الإسلامي بعد تلك الضربة الموجعة، قال بن نبي: "إن العالم الإسلامي لم يقو على البقاء إبان تلك الأزمة الأولى في تاريخه وبعدها، إلا بفضل ما تبقّى فيه من دفعة قرآنية حيّة قوية، وكان سرُّ تماسكه رجال من أمثال عقبة بن نافع، وعمر بن عبد العزيز، والإمام مالك رضي الله عنهم أجمعين، لا لأن أولهم كان فاتحا كبيرا، والثاني خليفة عظيما، والثالث إمام مدرسة كبرى في التشريع، بل لأن فضائل الإسلام الفطرية العظيمة قد تجسدت فيهم بصورة أو بأخرى"[13].

فسح انحسار الدفعة الروحية المجال واسعا للأهواء والغرائز بالتحرر شيئا فشيئا، رغم ما كشفه لنا التاريخ الإسلامي في هذا الطور من انتشار وتوسع عقلي كبير في مجالات العلوم، والمعارف المختلفة، بفضل أساتذة سطعت أسماؤهم في جو المعرفة كالفارابي[14]، وابن سينا[15]، وابن رشد[16]، وابن خلدون الذي أضاءت عبقريته غروب الحضارة الإسلامية[17] في نهايتها.

وكان حكمه بدخول المجتمع الإسلامي طور الغريزة نابعا من منطلق أن خفوت الروح مؤذن بخفوت العقل الذي لا يملك القدرة على كبح الغرائز.

وخلص بن نبي بعد هذا العرض إلى أن المقياس الحقيقي للحكم على حضارة ما هو حالة الإنسان، وليس تكدّس العلوم والمنتجات.

وهكذا بدأت الحضارة الإسلامية تخفت شيئا فشيئا، وبدأ العقل هو بدوره يستقيل تاركا مكانه للأهواء والغرائز إلى أن انسحب نهائيا، وهو ما يطابق بداية المرحلة الأخيرة من عمر الحضارة الإسلامية، والتي تزامنت مع سقوط دولة الموحدين[18].

3- طور الغريزة:

طابق بن نبي بين مرحلة الغريزة في الحضارة الإسلامية، والمرحلة التي مرّ بها المجتمع الإسلامي بعد سقوط دولة الموحدين في المغرب، ويعدّ هذا السقوط في رأيه بداية لانهيار حضارة لفظت آخر أنفاسها. بدأت تبرز من جراء هذا السقوط معالم وخصائص المجتمع الجديد – مجتمع ما بعد الموحدين –، الذي ورث كل سلبيات مراحل التدهور الحضاري على مرِّ القرون. قال الأستاذ في هذا الصدد: "كل النقائص التي تعانيها النهضة الآن، يعود وزرها إلى ذلك الرجل الذي لم يكن مؤثّرا في التاريخ،

فنحن ندين له بمواريثنا الاجتماعية، وبطرائقنا التقليدية التي جرينا عليها في نشاطنا الاجتماعي[19].

أطمعت حالة الوهن الحضاري الذي أصاب الأمة، القوى الاستعمارية لتمزيق أوصالها، والتحكم في مصيرها، وهذا الأمر لم يكن ممكنا من قبل بل كان مستحيلا، لولا ذلك التحوّل الداخلي الذي أفقد الإنسان المسلم دوره الريادي، وحل مكانه التناحر الداخلي.

وهو التحوّل الذي وصفه بن نبي بقوله: "حتى إذا وهنت الدفعة القرآنية توقف العالم الإسلامي، كما يتوقف المحرك، عندما يستنزف آخر قطرة من الوقود، وما كان لأي معوّض زمني أن يقوم خلال التاريخ مقام المنبع الوحيد للطاقة الإنسانية، ألا وهو الإيمان"[20].

وهكذا يقرر أن تضاؤل الطاقة الإيمانية لقلة التفاعل مع الإسلام من الزاوية الروحية، أضعف العزم على المجابهة، فخارت القوى، وتبدّدت الطاقات، لأن كل قوى العالم الخارجي عاجزة عن تحريك الإنسان – أي إنسان–، ما لم يكن انبعاث حركته من الداخل.

كان لهذه التراكمات وتشظيّاتها الأثر السلبي في المشهد القاتم الذي آل إليه الواقع الإسلامي في كافّة المستويات.

برزت في هذا السياق القدرة الإبداعية المتميّزة لمشروع بن نبي في تشخيص الواقع الإسلامي، التي تجلّت في الفصل الدقيق بين العلل الخفية والمظاهر المرضية.

عزا الأستاذ تعقّد وضع الأمّة إلى علل متعدّدة، منها ما هو أصليٌّ عائد للأسباب الأولية لانحراف الحضارة الإسلامية عن مسارها، ومنها ما هو طارئ مستجدّ

نجم عن مضاعفات التي سبّبتها العلل الأولى، ممّا أفضى إلى تشكّل مشهد قاتم بالغ التعقيد لحال الأمّة.

يتعذّر بناء على هذه المعطيات فصل هذه المظاهر بعضها عن بعض، نظرا لعلاقاتها التفاعلية تأثّرا وتأثيرا، فالمظهر الواحد قد يؤثر بطريق مباشر أو غير مباشر في مظهر معين أو أكثر. مثال ذلك أن : "النزعة الذرية" عند بن نبي، هي مظهر مرضي يعبر في أصله عن خلل في الفكر، الذي يعجز عن النظرة الكلية للظواهر، والأمر نفسه ينطبق على مظهر الشيئية والتكديس، الذي يرجع في أصله إلى خلل في الفكر العاجز عن النظر في العلاقة السببية والمنطقية بين الحضارة ومنتجاتها.

ومن أمثلة هذه العلاقة التفاعلية أن المظاهر المرضية للفرد- حسب رأيه - تدل على انعدام المحيط الثقافي الذي يحدد سلوك الفرد، وكذلك الترابط الوثيق بين درجة فعّالية الأفكار وحالة شبكة العلاقات الاجتماعية، وغير ذلك من المظاهر المتشابكة التي تشكل معالم المجتمع المسلم الجديد، المثقل بكل أصناف التخلف والانحطاط.

يتوجّب إذن - للخروج من هذه الملابسات- الغوص في جذور هذه المظاهر، لاكتشاف عللها الرئيسة.

وعلى هذا الأساس تتحدّد العلة الرئيسة التي تمنع الأمّة عن استئناف نهضتها - بنظره- في اختلال منظومة تفكير الإنسان المسلم، التي تتجلّى في العناصر الآتية:

1- الخلل في فهم وتمثّل تعاليم الإسلام، ومن أبرزها منظومة الاعتقاد.

2- الخلل الإرادي؛ بمعنى خفوت الدافعية للحركة والسعي نحو تنزيل تعاليمه.

3- الخلل المنهجي: أي وجود خلل في الطرق المتوسّل بها لتنزيل الأفكار والتصوّرات في الواقع.

1- الخلل الفكري:

الفكرة أو المبدأ هو الشرط الأول والأساس في كل بناء حضاري، فأي نشاط إنساني لا بد له أن ينطلق من مبادئ ... صحيحة واضحة المعالم، وإلا يكون مصير هذا النشاط الفشل الذريع؛ لأنه يفتقد إلى الضابط الذي يكوّن الوجهة، ويضبط الحركة.

لكن ما هي الفكرة الصحيحة التي يكون لها دور فعال في بعث النشاط الإنساني؟

عزا بن نبي كل التغييرات الإنسانية التي حصلت في التاريخ إلى تأثير الفكرة الدينية، يتجلى هذا في قوله: "كل ما يغير النفس، يغيُّر المجتمع، ومن المعلوم أن أعظم التغييرات وأعمقها في النفس، قد وقعت في مراحل التاريخ مع ازدهار فكرة دينية[21].

لذلك فهي العامل الأساس في ميلاد الحضارات وتطورها، باعتبارها "الصورة التي تحصل لدى أمة من الأمم عن حقيقة الوجود والكون والحياة ،هي التي بحسبها تندفع في الإنشاء الحضاري، وهي التي بحسب طبيعتها تحدد منحى التحضر الناشئ وتطبعه بصبغة خاصة، بل وتحدد مصيره أيضا"[22].

أدّى انفصام العلاقة بين الفكرة الدينية كمبدأ في البناء الحضاري، وبين الأمة – برأيه– إلى انحراف مسارها الحضاري، بفقدانها لمبرّرات وجودها لخفوت فكرتها الدافعة، التي تعد رأسمال كل أمة تشق طريقها نحو الحضارة.

تعاني الأمة الإسلامية حاليا من تداعيات هذا الخلل، بسبب انحراف تمثّلها للعقيدة الإسلامية، التي تعدُّ أساس بنائها الفكري، وهذا لأنّها " تتقوّم بأركان ثلاثة: حقيقة الصورة الوجودية التي تقوم على محورية الوجود الإلهي، وغاية الحياة الإنسانية

التي تقوم على الخلافة في الأرض، وعلاقة الإنسان بالكون التي تقوم على الارتفاق"[23].

ونلاحظ من خلال استحضار هذه الأركان، طروء خلل كبير في تصور المسلمين لكل ركن منها، يمكن تلخيصه في العناصر الآتية:

أ-إبعاد التوحيد عن المركز.

ب- قصور الرؤية عن غاية الحياة.

ج- ضعف الصلة بالكون[24].

من المظاهر المرضية لهذا الخلل عنده: تضخّم الأنا، والتعلّق بالخيال والأوهام[25]، وتمزّق شبكة العلاقات الاجتماعية.

2- الخلل الإرادي:

إنّ علة ارتخاء الدافع الحضاري هي خفوت التوتر، لكونه طاقة فعّالة لضمان القوة والنشاط، لذلك تتوقّف فعّالية المجتمعات، على قوة التوتر ودرجته[26].

عزا بن نبي كل المسوغات والدوافع، والأسباب القريبة والبعيدة التي تدفع إلى خلق نشاط فعال إلى حالة خاصة هي التوتر[27]، والتوتر هو حالة نفسية خاصة، ناتجة عن تأثير المبادئ[28]في أنفس حامليها.

لهذا فمشكلة المجتمع المسلم هي مشكلة مبررات تكوّن التوتر الذي يصنع الفاعلية الباعثة للحضارة، وعليه فإن أقوى وأسمى المبررات والمسوغات هي التي تهبط من السماء، وما يحكم المجتمع المسلم، ينطبق على الفرد، فالمشكلة- برأيه- تعود إلى أن إنسان ما بعد الموحدين ينقصه الحوار بين الفكر والقلب"[29].

وعلى هذا الأساس يتوقّف الإنجاز الحضاري من بين ما يتوقّف على إرادة جماعية قويّة، تربط الأفراد جميعا، وتوجههم توجيها مشتركا نحو تحويل الأفكار والخطط والبرامج إلى واقع عيني (ماديا ومعنويا). وعليه إذا تراخت الإرادة أو انهزمت لسبب أو لآخر ظلّت تلك الأفكار حبيسة الأذهان، أو ظهرت إلى الواقع ظهورا فاترا ضعيفا لا يرقى إلى بناء حضارة ذات شأن[30].

يتبيّن ممّا سبق أن الخلل الإرادي هو أمارة على خمود العلاقة التفاعلية بين النفس والمبادئ.

أفضى خمود هذه العلاقة التفاعلية إلى ظهور مظاهر مرضية متعددة حصرها بن نبي في: ازدواجية السلوك الفردي، وعقدة النقص[31]، والقابلية للاستعمار، والأزمة الثقافية[32]، والفراغ المفاهيمي[33]، وازدواجية اللغة.

3- الخلل المنهجي:

يعدُّ المنهج عاملا مهما" في صياغة الفكرة وتطبيقها في الواقع ... ، فالفكرة الدافعة إلى التحضر قد تعالج بمنهج مختل، فإذا هي رغم أحقيتها في ذاتها لا تثمر في الواقع شيئا، أو لا تثمر فيه إلا قليلا"[34]. يتجلى هذا الخلل في مستويين:

أ- على مستوى الفرد:

يتمظهر في حضور انفصال بين الفكر والعمل، وعدم التماسك في الأفكار، والنظرة التجزيئية للظواهر، وانعدام النظرة السببية في تحليل المشكلات، و الترتيب المنطقي للأفكار، وطغيان العاطفة على تفكيره ومواقفه، والمواقف الحدية المتطرفة، وغلبة نزعة المدح في النفس، و فشوّ التقليد، و النزوع إلى الشيئية في التفكير، وغيرها من ألوان التفكير المتخلف القاصر.

ب - على مستوى المجتمع:

يبدو القصور جليا في المسار النهضوي للمجتمع، فالنّخبة التي خططت لنهضة المجتمع الإسلامي، آلت جميع محاولاتها إلى الفشل الذريع[35]، وهذا لانعدام التوجيه المنهجي، والتخطيط الدقيق، الذي ينبع من النظرة الواقعية السننية الشمولية للواقع الإسلامي، مع قصور واضح في منهجية الاقتباس من الحضارة الغربية.

تشكّل هذه الجوانب الثلاثة في مجملها العلل الرئيسية لاستمرارية الغياب الحضاري بحسب رأيه، مهما اختلفت أسباب هذا الانحسار، ومهما تعدّدت مظاهره، مع التنبيه على أن كل علة من هذه العلل ليست منفصلة عن غيرها، بل هي متداخلة ومتشابكة في علاقة تأثير وتأثر، فالعلة الواحدة قد تؤثر في علة أخرى أو أكثر.

وتبقى العلة الأولى – الخلل في التصور الاعتقادي – هي رأس الأزمة التي تكبّل المسلمين عن الاستئناف الحضاري.

أكّد مالك من خلال عرضه لهذا التشخيص أنّ هناك علاقة تفاعلية بين الفرد والمجتمع، فمن جهة يؤثر المجتمع في الفرد لكونه ناقلا لموروثاته الاجتماعية، سلبية كانت أو إيجابية، ويؤثر الفرد من جهة أخرى في المجتمع حسب الحالة التي يكون عليها، فقد يساهم في تشكيل الوحدة العضوية للمجتمع، وقد يكون عاملا مؤثرا في تراخي شبكة العلاقات الاجتماعية، وعلى هذا يمكن اعتبار الفرد بعبارة أوجز عينة مصغرة للحالة التي عليها المجتمع. لذلك كان فصله بين المستويين الفردي والاجتماعي فصلا منهجيا وظيفيا لا غير.

مضى بن نبي على هذا الأساس قدما نحو التأسيس لبديل حضاري يروم تحقيق النهضة الشاملة والمتكاملة.

ثانيا: مقومات النهوض:

يرى بن نبي بضرورة وجود مقدّمات أولية تشكل أسس ومنطلقات البناء الحضاري، لما تحويه من عناصر جوهرية ينبغي استصحابها في صياغة مشروع النهضة، ووضعه موضع التنفيذ. تتمثل هذه المقدمات في ما يأتي:

1- ضرورة تحديد المنطلق: يقول الأستاذ : "لا يجوز لأحد أن يضع الحلول والمناهج مغفلا مكان أمته ومركزها؛ بل يجب عليه أن تنسجم أفكاره وعواطفه وأقواله وخطواته مع ما تقتضيه المرحلة التي فيها أمته[36].

2- ضرورة وجود المصدر التاريخي لعملية التغيير: يتمثل هذا المصدر في الفكرة الدينية، على اعتبار أن أعظم التغييرات وأعمقها في النفس، قد وقعت في مراحل التاريخ مع ازدهار فكرة دينية[37].

3- الفرد هو العنصر الجوهري في معادلة البناء الحضاري: يعدّ الإنسان برأيه" محور الفاعلية في حركة الحضارة، فعليه مدار الاختبار- وعطاؤه في إطار حضارته- وبالتالي في الحضارة الإنسانية ككل محدّد بالصقل الفكري، والتكوين الثقافي المتأصلين في بيئته الحضارية"[38].

4- ضرورة وجود العناصر الجوهرية في عملية البناء الحضاري: تتم صناعة التاريخ- من منظور مالك بن نبي- بتأثير ثلاثة طوائف اجتماعية هي: أ- تأثير(عالم الأشخاص). ب- تأثير (عالم الأفكار). جـ- تأثير(عالم الأشياء).

تتوافق هذه العوالم الثلاثة في السعي نحو تحقيق عمل مشترك تأتي صورته طبقا لنماذج إيديولوجية من (عالم الأفكار)، يتم تنفيذها بوسائل من (عالم الأشياء)، من أجل غاية يحددها عالم (الأشخاص)، ويحتاج ذلك المجموع إلى وجود عالم رابع يوفر الصلات الضرورية داخل هذه العوالم الثلاثة، وهو شبكة العلاقات الاجتماعية[39].

وتتفق كل من هذه العوالم الاجتماعية الثلاثة مع الصيغة التحليلية التالية: ناتج حضارة = إنسان + تراب + وقت[40].

5- الدور التغييري للثقافة: أولى بن نبي عناية خاصة للمسألة الثقافية، واعتبرها أساس وأصل كل تحوّل حضاري في التاريخ، فالفعل الحضاري هو في الأساس فعل ثقافي؛ لأن كل واقع اجتماعي هو في الحقيقة قيمة ثقافية معينة محققة في واقع الإنسان، بحسب معطيات الإطار الزمني والمكاني، وعلى هذا الأساس فإن أي تفكير في مشكلة الإنسان، هو في الأساس تفكير في مشكلة الثقافة[41].

وتعد المسألة الثقافية برأيه المدخل الضروري لعملية البناء الحضاري، على اعتبار أن الحضارة هي محصّلة تفاعل الجهد الإنساني مع سنن الآفاق والأنفس والهداية، وهذه السنن لا يمكن أن يصل إليها الإنسان إلا عبر عالم ثقافي سليم ومنسجم وفعّال، يتيح له امتلاك منهج البحث عنها، والوصول إلى إدراك آليات عملها من جهة، ومنهج الاستفادة منها في تحقيق الترقي الحضاري المنشود من جهة أخرى[42].

ويقوم المشروع الثقافي- برأيه- على دعامتين متكاملتين هما:

أ ــ العمل النقدي كآلية لتصفية كل رواسب التخلف الحضاري، التي تقف حجر عثرة في مسيرة نهوض الأمة الإسلامية.

ب ــ العمل البنائي الذي يتحدد من خلال بناء أساس فكري متين يكفل تحقيق عملية الإعمار والاستخلاف الحضاري.

6- أهمية النموذج الأصلي في البناء الحضاري: إنّ الغاية الأساسية من عملية البناء الحضاري هي تحقيق الأنموذج المثالي الذي جسّده الرعيل الأول في الواقع، بوصفه الأنموذج الذي بلغ أقصى درجات التمثل بالفكرة الإسلامية.

استصحب بن نبي هذه العناصر الجوهرية في تنظيره للبديل الحضاري ، وكان منطلقه الأول والأساس هو بناء الإنسان.

1- بناء الإنسان:

تتطلّب الصياغة المنهجية المتكاملة للذّات الحضارية عند بن نبي خطوات منهجية دقيقة و متكاتفة تشكّل في مجملها وحدة عضوية متكاملة، تنطلق من صياغة الفرد روحيا، بهدف خلق الدافع الحضاري، وتنتهي بصياغته فكريا ومنهجيا في إطار المشروع الثقافي.

يمكن تلخيص هذه الخطوات في عنصرين رئيسين هما:

أ- خلق التوتر في النفس الإنسانية:

التوتّر هو حالة نفسية ناتجة عن التفاعل مع الفكرة الدافعة؛ ممّا يفضي إلى حالة من الفاعلية والحركية الإيجابية نتجت عن تحرُّر الطاقات الكامنة في الأنفس. و يتوقّف تحقيق التوتّر – برأيه– على تجديد الصلة بين المسلم ومبدئه الأصلي – الإسلام –؛ بمعنى تسجيل هذا المبدأ في النفس كما قال بن نبي–، وهذا بتحقيق الشروط النفسية والاجتماعية ذاتها التي سبّبَت الانبعاث الروحي للرعيل الأول، وبعبارة أبلغ "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"[43].

وتحقيق هذا الأنموذج يمرّ حتما عبر "غرس الحقيقة القرآنية في الضمير المسلم كما لو كانت جديدة، نازلة من فورها من السماء على هذا الضمير"[44].

ب- بناء الإنسان في إطار المشروع الثقافي:

تعد الثقافة في نظر بن نبي "الوسط الذي يتكون فيه جميع خصائص المجتمع المتحضر، وتتشكل فيه جزئية من جزئياته، تبعا للغاية العليا التي رسمها المجتمع لنفسه، ...

وتتدخل الثقافة في شؤون الفرد، وفي بناء المجتمع، وتعالج مشكلة القيادة فيه كما تعالج مشكلة الجماهير"[45].

وبذلك تعتبر بناءً هذا التحديد السابق مصدرا و منهجا أساسيا في الصياغة التربوية للفرد والمجتمع، وتتشكل هذه الصياغة في صورة برنامج منهجي تربوي ينبني على عناصر هي:

ب1 - التوجيه الأخلاقي: ويقصد به "قوة التماسك الضرورية للأفراد في مجتمع يريد تكوين وحدة تاريخية"[46].

ب2 - التوجيه الجمالي: يعد البعد الجمالي – في نظره- بمثابة المصدر الذي تنبع منه الأفكار "وتصدر عنه بواسطة تلك الأفكار أعمال الفرد في المجتمع"[47].

والمصدر الذي تستمدّ منه التوجيه الجمالي للإنسان المسلم – عند بن نبي – هو الصور الجمالية – المعنوية والمادّية- المحيطة به، التي تلهم الإنسان التحلّي بمكارم الأخلاق، والإحسان في العمل"[48]. لذلك لا يمكن- برأيه- تصوّر الخير منفصلا عن الجمال.

خلص بن نبي إلى أنّ الجمال هو الإطار الذي تتكون فيه أية حضارة، ومن منطلق الأهمية الحيوية للجمال نجده يشدّد على ضرورة توظيفه في كل مناحي الحياة

ب3- المنطق العملي: عرّفه بقوله: "هو استخراج أقصى ما يمكن من الفائدة من وسائل معينة"[49]، ويعتبر مالك بن نبي أن العجز الذي يعاني منه إنسان ما بعد الموحدين، لا يرتبط بالعقل النظري، بقدر ما يرتبط بالعقل العملي، الذي يتكوّن في جوهره من الإرادة والانتباه[50]، ومكمن الخلل ــ برأيه ــ في افتقاد العقل المسلم للضابط الذي "يربط بين عمل وهدفه، بين سياسة ووسائلها، بين ثقافة ومثلها بين فكرة وتحقيقها"[51].

يتبيّن ممّا سلف أن المنطق العملي له ارتباط وثيق بفعّالية الإنسان في محيطه، وهو ما يستلزم وجود تناسب طردي يبين المنطق العملي والمحيط الثقافي للإنسان، على اعتبار أن فعّاليته تتحدد من خلال وسطه الثقافي.

ب4- التوجيه الفني أوالصناعة: يتضمّن ــ برأيه ــ "كل الفنون والمهن والقدرات وتطبيقات العلوم"[52]، ويدخل تحت هذا المسمى أيضا المهن التي تعد هينة بسيطة كالرعي، إذ يرى بن نبي "أن الراعي نفسه له صناعته"[53]؛ ممّا يدل على أهمية تضافر كلّ الجهود وتوجيهها نحو مقصد واحد هو النهوض الشامل بالأمّة.

ويرى الأستاذ أن استمرارية المجتمع ونموه والمحافظة على كيانه مرهون بدرجة اتصاله الفعلي بعالم الأشياء، وهذا لا يتحقق إلا باستثماره الإيجابي لوسائله وقدراته الذاتية في اتجاه بناء صناعته وبالتالي يجني الثمرات المادية للحضارة.

ومن خلال هذا البرنامج يمكن أن ننشأ الإنسان من جانبين:

أ- جانب التنشئة التربوية:

بمعنى التكوين الشامل للفرد من الناحية السلوكية، والجمالية.

ب- التنشئة الفكرية المنهجية:

ونعني بها إعادة صياغة التفكير الإنساني على أساس علمي سليم، يجعله يتميز بخاصية النظر السببي والسنني لمحيطه الإنساني والكوني.

يتّضح مما تقدم أن المسألة الثقافية وسيلة فاعلة في بناء الإنسان، بالنظر لما تتضمنه من "منهج تربوي يأخذ صورة فلسفة أخلاقية "[54] لها أثر وظيفي فاعل في تشكل عالم الأشخاص، الذي لا يتصور بدونه عالم الأفكار، وعالم الأشياء.

ويعبّر عن هذه العوالم الثلاثة بالمعادلة الآتية: ناتج حضارة = إنسان + تراب + وقت[55].

خلص مالك بن نبي – وفق هذا النسق – إلى أن زرع الفاعلية في الإنسان متوقف على التجسيد العملي للبرنامج التربوي للثقافة.

2- بناء المجتمع:

يعدّ المحيط الاجتماعي– برأيه – المؤثر الأساس في تكوين وتشكيل شخصية الفرد وطباعه، فقد يؤثر فيه بالإيجاب بغرس الفعّالية التي تجعله محرّكا للتاريخ، وقد يؤثر فيه بالسلب، بأن يرث الفرد مختلف أصناف التخلف من المجتمع .

فالقضية– برأيه– هي "قضية مجتمع، وليست قضية فرد، فكل المتاعب التي تهاجم الفرد، والمصاعب التي تعترضه في الطريق، ليس مصدرها تكوينه الخاص، ولكن صلته بمجتمع معين"[56].

وعليه فأول خطوة في بناء المجتمع هي تهيئة الجو الاجتماعي والثقافي الملائم لبناء الإنسان، وهذا لا يتم إلا بالعودة إلى الظروف والشروط نفسها التي تم فيها ميلاده.

ويتمثل أول شرط في إعادة تشكيل نسيج المجتمع على أساس مرجعيته وقيمه.

أ- بناء شبكة علاقات اجتماعية قوية على أساس الإسلام:

يعتبر تشكيل شبكة العلاقات الاجتماعية – برأي بن نبي – أول عمل يؤديه المجتمع الإسلامي في طريقه لاستئناف النهضة، متّخذا من الإسلام بقيمه وخصائصه الروحية السامية المنهل الذي يستقي منه قوّة تلاحمه، وشدّة تماسكه ، "فالعلاقة الروحية والعلاقة الاجتماعية– برأيه– مرتبطان ارتباط الأثر بالسبب في حركة التطور

الاجتماعي، فالعلاقة الاجتماعية التي تربط الفرد بالمجتمع، هي في الواقع ظل العلاقة الروحية في المجال الزمني"[57].

لهذا تشكّل الفكرة الدينية – الإسلام – نظاما اجتماعيا يستحيل فيه الفرد إلى أفراد كثيرين[58]، وتعد شبكة العلاقات الاجتماعية الأداة الجامعة لكل الطاقات الحية في المجتمع الإسلامي، ويتجلى هذا التماسك الاجتماعي في صورة نشاط مشترك يقوم به مجتمع وظيفته تجميع هذه الطاقات الفردية لمصلحته بفضل هذه الشبكة.

ولا ينبغي أن يكتفي المجتمع المسلم بتكوين هذه الشبكة فحسب؛ بل يجب عليه القيام بدور مصيري، يتعلق بضرورة الحفاظ على سلامة هذه الشبكة من أي طارئ قد يعطل أو يعرقل عملها، مثل: التعاليم الدينية والاجتهادات القانونية[59] التي تعتبر بمثابة جهاز وقائي يضمن سلامة نسيج المجتمع .

وإضافة إلى الآليات الوقائية السابقة الذكر، لا بد من عمل متواصل ودؤوب لصدّ كل "القوارض" التي تقوم بمحاولة هدم الوحدة العضوية للمجتمع.

ب- بناء المجتمع وفق منظور المشروع الثقافي:

ركّز بن نبي في تنظيره للمشروع الثقافي للمجتمع على بعده الوظيفي، حيث يرى أن أولى الأولويات في عملية البناء الثقافي "هو تحديد مفهومها في الإطار التاريخي، ثم توظيفها كنظام تربوي تطبيقي لنشرها بين طبقات المجتمع"[60].

يمثّل المبدأ الأخلاقي العنصر الأساس في البناء الثقافي، إذ أن"فعالية المجتمعات تزيد أو تنقص، بقدر ما يزيد فيها أو ينقص تأثير المبدأ الأخلاقي"[61].

وتكمن أهمية هذا المبدأ في أثره الوظيفي الفعال عند تشكيل عالم الأشخاص، "الذي لا يتصور بدونه عالم الأشياء، ولا عالم المفاهيم"[62]،ويدل التجسيد الواقعي للمشروع الثقافي– كأساس للتغيير والبناء الاجتماعي– ، على تشكل شبكة الصلات

الثقافية، التي من خلالها تتحدد فعالية الفرد والمجتمع وعلى ضوئها يحدد هدفها المشترك[63].

وبهذا تتضح الأهمية المركزية للمشروع الثقافي، بوصفه المدخل الأساسي لعملية البناء الحضاري.

إن توفير هذا الوسط الملائم بشروطه وظروفه من شأنه أن يبعث الفعّالية من جديد في المجتمع المسلم، ويعيد له دوره القيادي في العصر الراهن.

ومن المفاصل الأساسية والمحورية في عملية بناء مشروع النهضة – عنده– التمكين السياسي عبر نظام حكم راشد، يستمدّ شرعيته من مقوّمات الأمّة، وبناء اقتصاد نوعي مثمر يفعّل كلّيات الاستخلاف في أرض الواقع بعمليتي التسخير والتعمير.

3- بناء سياسة فاعلة:

يعدّ البناء السياسي أحد أهم عوامل البناء الحضاري، فهو بمثابة العقل المدبر والمنظم والمخطط لتشييد الصرح الحضاري. ويشترط في عملية بناء المنظومة السياسية للأمة الإسلامية – برأي بن نبي– ، أن تكون مطابقة للغاية المستقبلية للأمة الإسلامية المتجلّية في الشهود الحضاري تمثُّلا بقوله عز وجل: "وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا"[64]، ويقتضي نجاح هذا العمل وجود ضوابط ومحددات تعصم الأداء السياسي من الانحراف، وتتلخص فيما يأتي:

أ– ضرورة ارتباط البناء السياسي بالمبدأ الأخلاقي، حيث تعتبر "السياسة بدون أخلاق ما هي إلا خراب الأمة"[65]كما قال بن نبي.

ب- مركزية البعد الثقافي في البناء السياسي، حيث يرتبط الأداء السياسي بشكل وثيق بالمسألة الثقافية لهذا "فصناعة السياسة برأيه تعني إلى حد كبير تغيير الإطار الثقافي في اتجاه ينمي تنمية متناغمة عبقرية أمة، ومن هنا فصناعة السياسة تعني في آخر المطاف صناعة الثقافة"(66).

ج - أهمية المنهج في الأداء السياسي، إذ أن المنهج هو الناظم الذي يضبط العمل السياسي، فيسير وفق هذا الانضباط على منهج محدد الغايات، واضح الأبعاد والمقاصد، لا مكان فيه للانتهازية والعشوائية.

شدّد رحمه الله في سياق بيانه لمركزية المنظومة السياسية في البناء الحضاري على ضرورة الارتباط الجذري بين البناء السياسي وعمق الإرث الحضاري للأمة الإسلامية بمقوماته الذاتية و من خلال الخبرة الإسلامية التاريخية، مع مراعاة مستجدات الساحة العالمية.

4- بناء اقتصاد متين:

تتحقق من خلال إعادة صياغة الفرد في إطار المشروع الثقافي للمجتمع، تحت قيادة سياسة حكيمة، منضبطة برؤية إستراتيجية متكاملة الثمرة المرجوة في صورة بناء اقتصادي متجذّر في الواقع الإنساني.

واشترط بن نبي لنجاح عملية الإقلاع الاقتصادي - على غرار البناء السياسي- وجود ضوابط، نختصرها في العناصر الآتية:

أ. مركزية الإنسان في البناء الاقتصادي:

أكّد رحمه الله على ضرورة أن تكون عملية الإقلاع الاقتصادي ضمن منظومة متكاملة منطلقها الأساسي هو الإنسان، حيث يرى أن البناء الاقتصادي" ليس قضية

إنشاء بنك وتشييد مصنع فحسب، بل هو قبل ذلك تشييد الإنسان وإنشاء سلوكه الجديد أمام كل المشكلات"[67].

ب- ارتباط البناء الاقتصادي بالمعادلة الاجتماعية للفرد:

ونعني به ارتباط البناء الاقتصادي بخصوصية الواقع الاجتماعي، وعلى هذا الأساس نستطيع أن نفسر سرّ تباين مناهج الإقلاع الاقتصادي من مجتمع لآخر، وانطلاقا من هذا التباين يرى بن نبي وجوب مراعاة ما اصطلح عليه بـ"المعادلة الاجتماعية" التي فسرها بمعادلتين:

ب1- معادلة بيولوجية تسوي بين الإنسان وأخيه الإنسان من حيث صفاته الذاتية.

ب2- معادلة اجتماعية وهي هبة المجتمع إلى أفراده كافة، بصفتها القاسم المشترك الذي يطبع سلوكهم، ويحدد درجة فاعليتهم أمام المشكلات، ويميزهم عن أفراد مجتمع آخر، أو عن جيل آخر بين مجتمعهم"[68].

ج- ارتباط البناء الاقتصادي بالإرادة الحضارية:

أكّد بن نبي أن الاقتصاد هو الثمرة المادية للحضارة الإنسانية بكل ما تحمله من خصوصيات ذاتية، لذلك لا يمكن تصور نجاح عملية البناء الاقتصادي بدون ربطها بالقيم الحضارية، وعليه فالقضية برأيه "ليست قضية إمكان مالي، ولكنها قضية تعبئة الطاقات الاجتماعية – أي الإنسان، والتراب، والوقت– في مشروع تحركها إرادة حضارية "[69].

يتضح من خلال عرض المشروع الحضاري عند بن نبي –من جانبي التشخيص والتصحيح– انضباطه المحكم بمنهجية جليّة واضحة الأبعاد من حيث الأسس والمنهج والغاية؛ مما يؤكد حضور نسق بنائي شكل بمجموعه منظومة تغييرية متكاملة، ووحدة عضوية متلاحمة كما هو مفصّل في المخطط البياني الآتي:

مخطط بياني للخطوات المنهجية الموظّفة عند مشروع مالك بن نبي

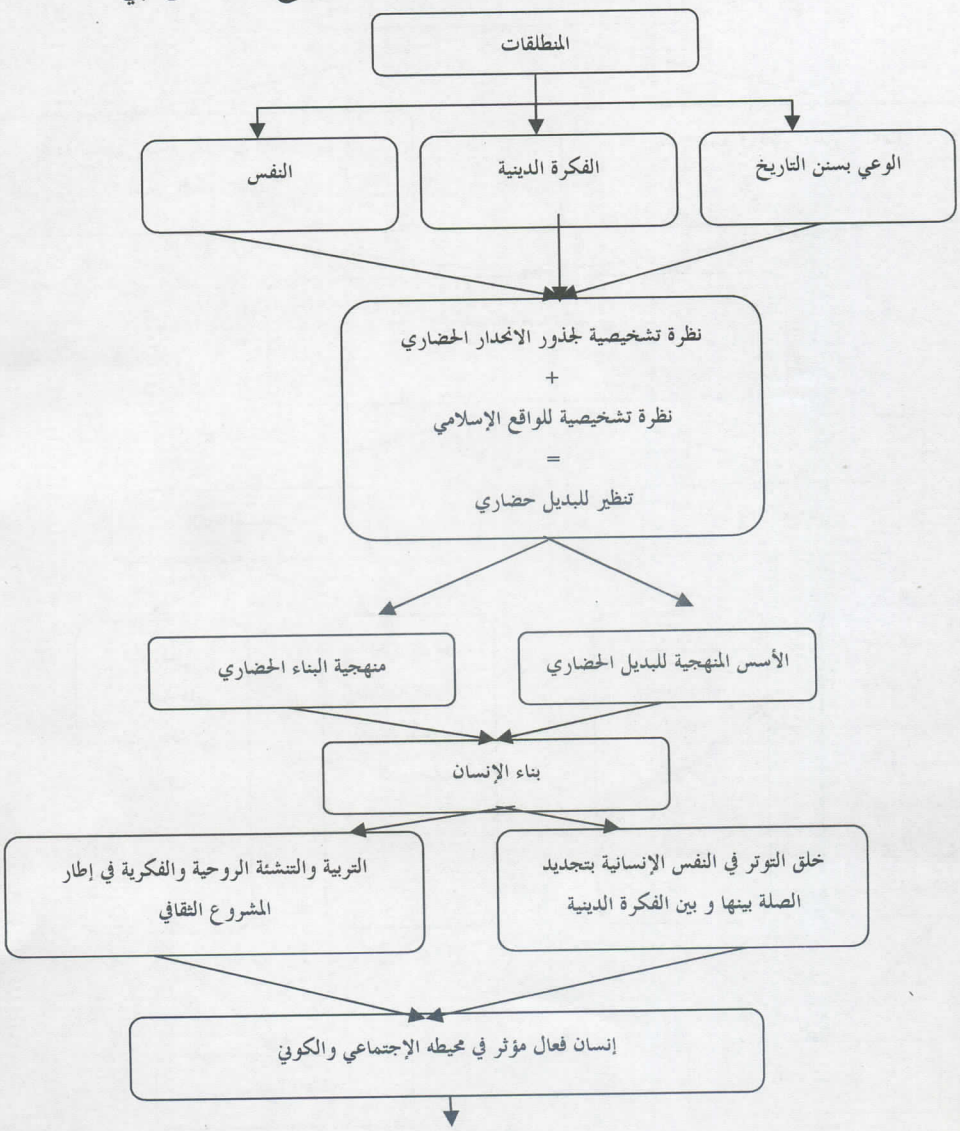

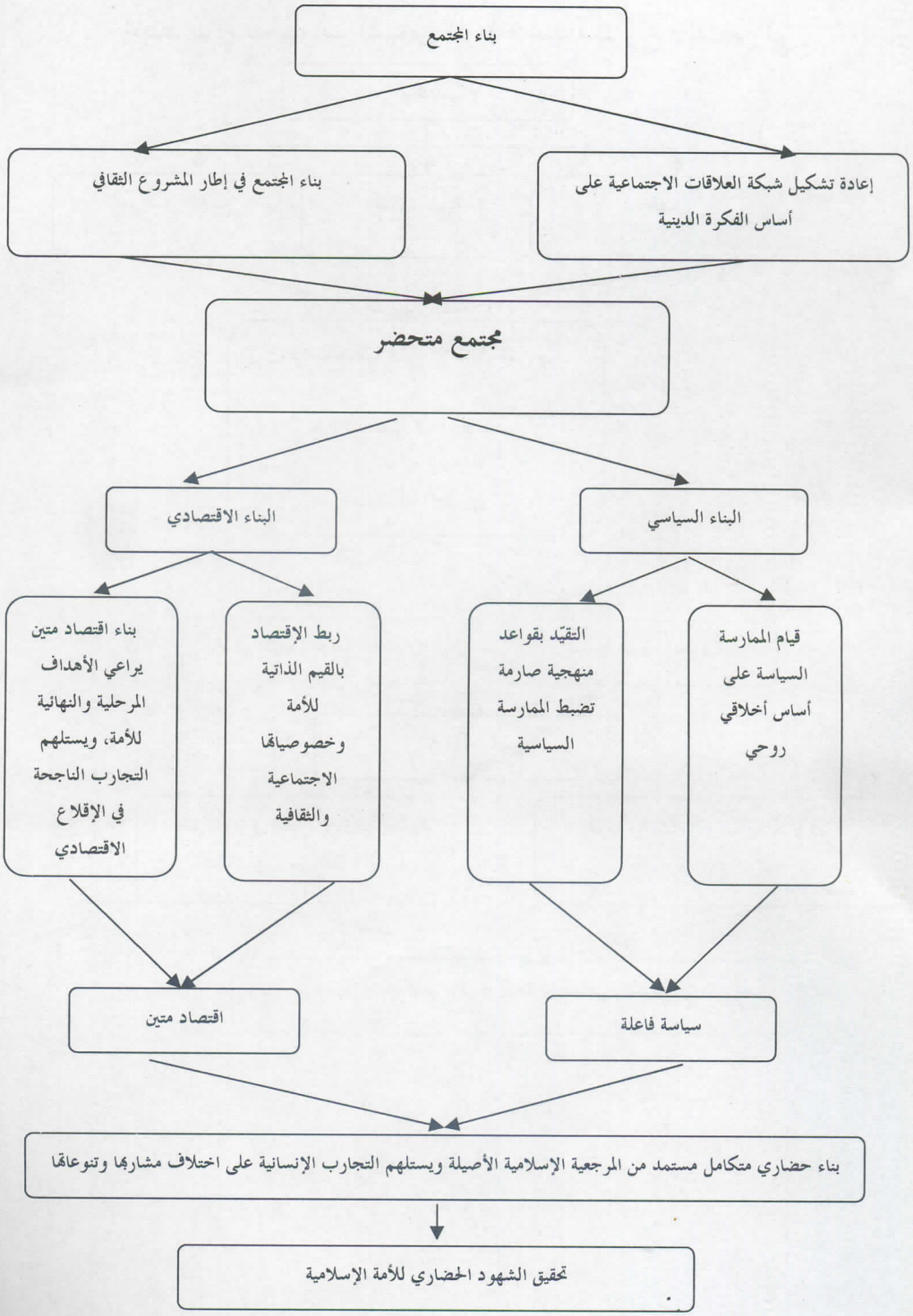
بناء المجتمع
بناء المجتمع في إطار المشروع الثقافي
إعادة تشكيل شبكة العلاقات الاجتماعية على أساس الفكرة الدينية
مجتمع متحضر
البناء الاقتصادي
البناء السياسي
بناء اقتصاد متين يراعي الأهداف المرحلية والنهائية للأمة، ويستلهم التجارب الناجحة في الإقلاع الاقتصادي
ربط الإقتصاد بالقيم الذاتية للأمة وخصوصياتها الاجتماعية والثقافية
التقيّد بقواعد منهجية صارمة تضبط الممارسة السياسية
قيام الممارسة السياسة على أساس أخلاقي روحي
اقتصاد متين
سياسة فاعلة
بناء حضاري متكامل مستمد من المرجعية الإسلامية الأصيلة ويستلهم التجارب الإنسانية على اختلاف مشاربها وتنوعاتها
تحقيق الشهود الحضاري للأمة الإسلامية

الهوامش:

1- مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، تر: عبد الصبور شاهين (دمشق، بيروت، دار الفكر، دار الفكر المعاصر، ط5، 1986م)، ص.28

2- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، تر: عبد الصبور شاهين (دمشق، بيروت: دار الفكر، دار الفكر المعاصر، ط04، 1987م)، ص.117

3- مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، تر: بسام بركة، أحمد شعبو(دمشق: دار الفكر، ط01، 1992م)، ص .39

4- سورة الأنفال الآية،/.63

5- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، تر: عبد الصبور شاهين(دمشق دار الفكر ، 1989م)، ص 12..

6- متفق عليه رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم (163/5) 57 ــ باب نصر المظلوم، حديث رقم (2446)، وفي كتاب الأدب (553/10). 26 ــ باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا، حديث رقم (6026)، ورواه مسلم في صحيحه (355/16) بشرح "النووي" – كتاب البر والصلة 17 ــ باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم (6568)، ورواه الترمذي في "السنن" (47/3) بشرح "التحفة"، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم، حديث رقم (1993)، وقال: "حديث صحيح"، وأخرجه النسائي (81/5) بشرح "السيوطي"، كتاب الزكاة، 67 ــ باب أجر الخازن إذا تصدق بإذن مولاه، حديث رقم (2556).

7- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق ص .44

8- أسعد السحمراني، مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا(بيروت: دار النفائس، ط01، 1984م)، ص .74

9- نسبة إلى موضع بقرب الرقة على شاطىء الفرات من غربيها، حيث وقعت معركة طاحنة بين جيش الخلافة الإسلامية بزعامة علي رضي الله عنه، وجيش الأمير معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، و يعود سبب هذا الإقتتال أساسا إلى رفض معاوية مبايعة الخليفة الراشد علي كرم الله وجهه بحجة ضرورة الإقتصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه، فالتقوا يوم الأربعاء سابع صفر، ثم يوم الخميس والجمعة، وليلة السبت، ثم رفع أهل الشام لما رأوا "الكسرة (الهزيمة) المصاحف بإشارة عمرو بن العاص، ودعوا إلى الصلح والتحكيم". أنظر شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1987) م،3 ، من ص 535 إلى544.

10- انظر مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين (دمشق، بيروت: دار الفكر ، دار الفكر المعاصر،ط04، 1988م)، ص .58

11- المرجع السابق، ص .58

12- المرجع السابق، ص .58

13- مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص .30

14- يروى "أنه كان ناطورا في بستان بدمشق، وكان دائم الاشتغال بالفلسفة، وكان فقيرا و يستضيء في الليل بالقنديل الذي للحارس، ثم أنه عظم شأنه"، ارتحل في شبابه إلى مدينة السلام، والتحق بأمير حلب ورافقه إلى دمشق، ثم اعتزل الناس وعاش عيشة فاضلة حتى وفاته، التي أرخت في سنة 339هـ استنادا إلى المسعودي في كتابه" التنبيه والإشراف"، من مؤلفاته: إحصاء العلوم، الأخلاق، البرهان، تحصيل السعادة، آراء أهل المدينة الفاضلة.

15- هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، الملقب بالشيخ الرئيس، أشهر أطباء العرب، ومن أعظم فلاسفتهم، تعلم في صغره النحو، ومبادىء الشريعة، وخاض غمار

علم الرياضيات، والطبيعيات، والمنطقة، والميتافيزيقا، ثم درس بعدها الطب على يد عيسى بن يحيي حتى هرع إليه الأطباء يستفيدون من معارفه، رحل إلى جرجان واتصل بالشيرازي، كان وزيرا لدى أمير همدان، =

= توفي سنة 428هـ ـ 1037 م، من مصنفاته: الإشارات= =والتنبيهات، القانون في الطب. أنظر: الأستاذ زوفي إيلي ألنا، موسوعة أعلام الفلاسفة العرب والأجانب، مرجع سابق ج1، ص 29 ـ 30 بتصرف.

16- هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد، ولد في قرطبة إحدى عواصم الفكر الأندلسي عام 520هـ ـ 1126 م، كان أبوه قاضي قرطبة فعلم إبنه مبادىء الفقه والإجتهاد واللاهوت، حتى غدا ابن رشد المؤهل الوحيد لوراثة أبيه، فعين قاضي القضاة في قرطبة، درس الفزياء وعلم الفلك، والفلسفة، والرياضيات، وأتاح له بن طفيل الإتصال بيوسف بن عبد المؤمن في مراكش فأوكل إليه هذا الأخير إصلاح القضاء حتى عرف بـ"سلطان العقول والأفكار"، لا رأي إلا رأيه، ولا قول إلا قوله، عاد بعد فترة من الزمن إلى قرطبة، حيث بث مبادئه الخاصة في الفلسفة التي ما لبثت أن اعتبرت هرطقات تمس عقيدة الدين، فاضطر الفيلسوف للاختباء فترة من الزمن في مدينة فاس، حيث ألقي القبض عليه، وأودع السجن، بعد أن أحرقت كتبه في الساحات العامة، وبعد أن شهد قوله له بغير ما نسب إليه، أعيد له الاعتبار ورجع إلى مراكش، حيث تسلم مهامه الأولى، لكن أصيب بمرض عضال لم يمهله سوى سنة واحدة، فمات سنة 595هـ ـ 1198 م، من مصنفاته: تهافت التهافت، فصل المقال في تقرير ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، الكشف عن مناهج الأدلة، بداية المجتهد ونهاية المقتصد. أنظر: الأستاذ زوفي إيلي ألنا، موسوعة أعلام الفلاسفة العرب والأجانب، مرجع سابق، ج1، ص 22 ـ 23 ـ 24، بتصرف.

17- مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص.59

18- الموحّدون هم أصحاب ومؤسّسو الدولة الإسلامية التي قامت في المغرب والأندلس في القرنين السادس والسابع الهجريين. وترجع نشأة الموحّدين – الذين قاموا يدعون إلى تنقية العقيدة الإسلامية مما أصابها من تحريف – إلى رجل من قبيلة هرغة، واسمه محمد بن تُومَرْت، ويعرف بالمهدي بن تومرت. تلاشت قوة دولة الموحّدين عند انهزامهم ضد النصارى في معركة "حصن العقاب" بالأندلس، سنة 609هـ، لتنقسم إلى ثلاثة دول هي: دولة بني مرين، ودولة بني حفص، ودولة بني عبد الواد. انظر عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان(القاهرة، 1963م).

19- مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص.37

20- المرجع السابق، ص 31

21- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص .80

22- عبد المجيد النجار، عوامل الشهود الحضاري، ج2، مرجع سابق، ص .18

23- عبد المجيد النجار، عوامل الشهود الحضاري، مرجع سابق، ص .19

24- انظر المرجع السابق، ص 19 – 20 – .21

25- هو النزوع إلى التفسير الخرافي الأساطيري للحوادث الكونية والإنسانية.

26- انظر حمودة سعيدي، مقولة التوتر في البناء الحضاري عند مالك بن نبي، مجلة المواقفات، (الجزائر المعهد الوطني العالي لأصول الدين عدد: 3).

27- مالك بن نبي، تأملات (دمشق: دار الفكر، ط 1991،05م، ص .38

28- يقصد مالك بن نبي بالمبادئ: الفكرة الدينية.

29- مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مرجع سابق، بتصرف، ص .185

30- انظر عبد المجيد النجار، عوامل الشهود الحضاري، مرجع سابق، ج2 ، ص 71 – .72

31- هو شعور بالدونية أمام الغير، مع نقص الثقة بالنفس.

32- وتنشأ هذه الأزمة عندما تتعطل العلاقة التفاعلية بين المجتمع والفرد؛ بفعل زوال الضغط الاجتماعي من المجتمع على الفرد، وهو ما يؤدي إلى انفلات الطاقة الحيوية من قيودها، فتؤثر سلبا في علاقة الفرد بالمجتمع، بحيث يصطبغ الفرد بالنزعة الانعزالية الفردية، التي تتجلى في فقدان الفرد لحقه في النقد، وفي تمثله للأمر الشرعي بتغيير المنكر، و تنشأ في كلتا الحالتين أزمة ثقافية مآلها البعيد هو الانهيار الحضاري، وتنمو هذه الأزمة تدريجيا مع الإتجاه التنازلي للمجتمع. وتتوقف مواجهة هذه الأزمة – برأيه– على درجة فاعلية المجتمع، فقد تخلق الأزمة الثقافية أمام مجتمع متقهقر أو جامد استحالة لا يستطيع التغلب عليها فيستلم للواقع، بينما يخلق هذا الظرف نفسه بالنسبة لمجتمع آخر فرصة لدفع جديدة لحركيته. انظر مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين (دمشق: دار الفكر، ط 4، 1984)، ص 91.

33- المنظومة المفاهيمية هي العنصر الذي يحقق جمع وتحريك الطاقات الاجتماعية، أو تحقيق الوحدة في النشاط الاجتماعي، بواسطة إدماج النشاط الفردي "للشخص"، الذي صاغته الثقافة في النشاط الاجتماعي لإقامة الحضارة. فوجود فراغ في المنظومة المفاهيمية لمجتمع معين يعني فقدان المبررات التي تحرك المجتمع الإسلامي، بحيث تبرز فيه مظاهر الانحسار في النشاط الفردي، الذي انسحب من النشاط المشترك، مما نتج عنه ظهور النزعات الفردية[1]، وهو يؤدي إلى إضفاء طابع من الضبابية على الرؤية الغائية المشتركة، ومن ثم يعطل السير الحضاري للمجتمع الإسلامي. أنظر مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مرجع سابق، ص 39 – 40.

34- عبد المجيد النجار، عوامل الشهود الحضاري، مرجع سابق، ص 39 – 40.

35- تتباين، وتتفاوت علل و درجات هذا الفشل نسبيا.

36- مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق ص 53.

37- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق ص .80

38- سليمان الخطيب، فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي – دراسة إسلامية في ضوء الواقع المعاصر (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط 01، 1993م)، ص 81.

39- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق ص 27 – 29.

40- المرجع السابق ص 27 – 29.

41- المرجع السابق ص 100 ــ 101.

42- الطيب برغوث، موقع المسألة الثقافية من إستراتيجية التجديد الحضاري (الجزائر: دار الينابيع)، ص 12-13.

43- قول مأثور عن إمام دار الهجرة مالك بن أنس.

44- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق ص .114

45- المرجع السابق ص 113 ، 114.

46- مالك بن نبي، شروط النهضة مرجع سابق ص 94.

47- المرجع السابق ص .82

48- المرجع السابق ص .82

49- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين (دمشق: دار الفكر، ط04، 1984م)، ص .85

50- انظر مالك بن نبي، شروط النهضة مرجع سابق ص .102

51- المرجع سابق ص .102

52- المرجع السابق ص .104

53- المرجع السابق ص .104

54- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مرجع سابق، ص 63.

55- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 27 - 29.

56- مالك بن نبي، تأملات (دمشق: دار الفكر، ط05، 1991)، ص 28.

57- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق ص .57

58- المرجع السابق ص .57

59- سواء أكانت مستمدة من الوحي الإلهي أو اجتهادات منضبطة بمقاصده.

60- مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 91 ــ 92.

61- مالك بن نبي، تأملات، مرجع سابق، ص .148

62- المرجع السابق، ص .148

63- انظر المرجع السابق، ص .146

64- البقرة/ .143

65- مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه (دمشـــق : دار الفكـــر، ط08، 1988م)، ص80.

66- المرجع السابق، ص 89.

67- المسلم في عالم الاقتصاد، (دمشق: دار الفكر ، ط03، 1987م)، ص 64.

68- انظر المرجع السابق، ص من 91 إلى 96.

69- المرجع السابق، ص 71.